فتنة الإسكندرية عام ٤١٥م بين المسيحيين واليهود: دراسة تحليلية*

د. أميرة الحديني**

- **ملخص:**

تميزت مدينة الإسكندرية منذ إنشائها وحتى نهاية العصور القديمة تقريبًا بأنَّها مدينة عالمية ومتعددة الأعراق- حيث عاش فيها اليهود جنبًا إلى جنب مع اليونانيين والمصريين وغيرهم من بعض القوميات الأخرى التي جذبتها الأهمية الاقتصادية والثقافية للمدينة عبر عصورها المختلفة. وعبر مراحل تاريخها أيضًا شهدت الإسكندرية العديد من الثورات والقلائل لأسباب مختلفة كان من بينها الصراعات بين اليهود واليونانيين في العصر الرومانيّ، ثم بعد ذلك بين اليهود والمسيحيين بعد انتشار المسيحية، وبخاصة بعد الاعتراف بها دينًا رسميًّا في القرن الرابع قبل الميلاد.

ويدرس هذا البحث الصراع الذي دار بين المسيحيين واليهود عام ٤١٥م، والذي شهد أيضًا مقتل الفيلسوفة هيباتيا. وتحلل الدراسة أحداث الصراع وأسبابه

---

* يسرني أن أشكر المحكمين لهذه المقالة على مراجعتهم الدقيقة واقتراحاتهم القيمة التي أثرت البحث.

** أستاذ مساعد التاريخ اليوناني والروماني، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية.

المباشرة والحقيقية موضحة أنّ لهذا الصراع دوافعه التاريخية التي تسبقه بعقودٍ طويلة. وتناقش الدراسة كذلك طبيعة العلاقات بين والي الإسكندرية وبين البطريرك الذي تم تعيينه قبل ذلك التاريخ بأعوام قليلة. ويتضح من مناقشة هذا الموضوع أنّ الصدام بين اليهود والمسيحيين كان أمرًا محتومًا مثلما أنّ نتيجته كانت أيضًا محسومةً لصالح الأخيرين، وهو الأمر الذي ينطبق أيضًا على الصدام الموازي له بين الوالي والبطريرك، وبين الوثنيين والأخير.

-**كلمات مفتاحية:** يهود الإسكندرية – البطريرك كيرلس السكندري – الفيلسوفة هيباتيا – الوالي السكندري أوريستيس

The Great Riot of 415 in Alexandria between the Christians and the Jews: A contextual Approach

Amira al-Hedainy, Ph.D.

-Abstract:

Since it was founded by Alexander the Great towards the end of the fourth century BC and until the end of late antiquity, the city of Alexandria was characterized as a cosmopolitan city distinguished by its multi-cultural and ethnic groups. There, Jews lived next to Greeks, Egyptians and other nationalities drawn to the city by its increasing economic and cultural importance over the ages. Also, during the stages of its long history, Alexandria witnessed several occasions of riots and resurrections due to several causes, among which the disputes between the Greeks and the Jews during the Roman era and then the clashes between Jews and Christians after the spread of Christianity. These last clashes became more frequent during the fourth century after the conversion of Constantine.

This paper studies the riot which occurred between the Christians and the Jew in 415 during which the philosopher Hypatia was assassinated. It analyzes the causes of the riot, its immediate and real causes and explains that the latter go back several decades before the date of the riot. The study also discusses the nature of the relations between the prefect of the city and its bishop who assumed his office only few years before. It concludes that not only was the clash between the two parties inevitable, but its consequences were also predetermined. The same conclusion applies as well to the parallel clashes between the prefect and the bishop and the pagans and the latter.

-Key words: Jews of Alexandria – Bishop Cyril of Alexandria – Hypatia the Philosopher – Orestes the Prefect of Alexandria.

- **مقدمة:**

تميزت مدينة الإسكندرية منذ تأسيسها على يد الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢هـ بكونها مدينة عالمية في كافة المجالات، السياسية والاقتصادية وحتى على مستوى تكوينها المجتمعي. لقد ضم مجتمع الإسكندرية يونانيين ومصريين ويهود، وكانت لكل منهم حقوقه وامتيازاته التي يحصل عليها داخل هذا المجتمع؛ كما كان لكل عنصر من هذه العناصر الحيّ الذي يقيم فيه من الأحياء التي كانت المدينة تنقسم إليها. وهكذا فإنَّنا نعرف أنَّ اليونانيين كانوا يقيمون في الحي الملكي، والمصريون في حي راقودة، أما اليهود- ذلك العنصر الذى بدأت تتوافد أعداد كبيرة منه في القرن الأول الميلاديّ إلى الإسكندرية- فقد كانوا يقيمون في الحي الرابع أو حي دلتا (Δ). ويذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس (Josephus) أن الإسكندر الأكبر عندما أسس المدينة أنزل عددًا من اليهود في حي خاص بهم، ومنحهم من الحقوق والامتيازات ما ساوي به بينهم وبين المقدونيين،[١] وهو ما ينطوي بطبيعة الحال على قدر كبير من المبالغة فيما يتعلق بمسألة الحقوق والامتيازات، بل وكونه خصص لهم حيًّا منذ الأعوام الأولى لتأسيس المدينة. [٢]

---

[١] Josephus, *Contra Apionem*, 2.35: εἰς κατοίκησιν δὲ αὐτοῖς ἔδωκεν τόπον وقارن: H.I. Bell, Ἀλέξανδρος καὶ ἴσης παρὰ τοῖς Μακεδόσι τιμῆς ἐπέτυχον. "Anti-Semitism in Alexandria," *Journal of Roman Studies* 31 (1941), 1-2.

[٢] مصطفى كمال عبدالعليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، القاهرة، ١٩٦٨، ٢٨-٢٩.

ومع ذلك فقد ازدادت أعداد اليهود المقيمين في المدينة زيادة كبيرة منذ الأجيال الأولى للحكم البطلميّ، حتى أنَّنا نسمع عن ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية في عهد الملك بطلميوس الثاني، وهي الترجمة المعروفة بالسيبتواجينت (*Septuagint*)، أو الترجمة السبعينية.[٣] وفي القرن الثاني قبل الميلاد ازداد اعتماد الملوك البطالمة عليهم، وكان لهم دورهم الواضح في الصراعات الأسرية التي تكررت في خلال هذا القرن بين بطلميوس السادس والثامن، وبعد ذلك بين كليوباترا الثانية وبطلميوس الثامن.[٤]

ومع حلول العصر الرومانيّ أصبح اليهود يمثلون جالية مستقلة، وكان لهم رئيسٌ يدير شئونهم ويحقق العدالة بين مواطنيها، ويتولى إصدار القرارات، وذلك من خلال مجلس الجيروسيا/الشيوخ (*gerousia*) الذي سمح لهم أغسطس بالاحتفاظ به في الوقت الذي أنكر على السكندريين الاحتفاظ بمجلس البولى (*boule*)/ الشورى الخاص بهم.[٥] وشجع هذا الوضع المتميز لليهود على المطالبة بمزيد من الامتيازات وأثار في الوقت ذاته ضدَّهم حفيظة السكندريين،

---

[٣] انظر الآن عن هذا الموضوع مقالتي كوك (Cook) ولودر (Loader)، في: Paul Mckechnie and Philippe Guillaume (eds.), *Ptolemy II and his World* (Leiden, 2008), 193-232.

[٤] Livia Capponi, "Deserving the Court's Trust: Jews in Ptolemaic Egypt," in *The Hellenistic Court: Monarchic Power and Elite Society from Alexander to Cleopatra*, ed. Andrew Erskine, Lloyd Llewllyn-Jones and Shane Wallace (London, 2017), 343-358.

[٥] عن وضع اليهود في العصر الرومانيّ بشكل عام، انظر المعالجة المختصرة في: Naphtali Lewis, *Life in Egypt under Roman Rule* (Oxford, 1983), 28-31.

وسرعان ما نشبت بين الطرفين صراعات دموية تشتهر في المصادر باسم فتنة عام ٣٨م في عهد الإمبراطور كاليجولا (Caligula)، عندما زار أجريبّا (Agrippa) الإسكندرية في طريق عودته إلى يودايا (Judaea) بعد أن تم تعيينه ملكًا عليها من قِبَل الإمبراطور. وكما نعرف فقد اضطر الطرفان في أعقاب تلك الفتنة الدموية إلى إرسال وفودٍ للاحتكام إلى الإمبراطور الرومانيّ في روما في أكثر من مناسبة. وتُخَلِّد الأعمال المعروفة باسم 'أعمال الشهداء الوثنيين' أو 'أعمال السكندريين' بعض قادة مدينة الإسكندرية الذين انتهى الأمر بإعدامهم في تلك المحاكمات.(٦)

ومع نهاية القرن الأول الميلادي وصلت درجة انتشار اليهود وتغلغلهم في المجتمع السكندري إلى أنهم كانوا يسيطرون على اثنين من الأقسام الخمسة التي كانت تنقسم لها مدينة الإسكندرية.(٧) وحاول اليهود أيضًا في عهد الإمبراطور كلاوديوس (Claudius) أن يتساووا مع اليونانيين، وهو ما وردت الإشارة إليه في رسالته لأهالي الإسكندرية، التي ينصح فيها السكندريين أن يحسنوا معاملة اليهود الذين أقاموا في المدينة منذ القِدَم، وينصح فيها اليهود ألا يطلبوا امتيازات

---

(٦) Andrew Harker, *Loyalty and Dissidence in Roman Egypt: The Case of the Acta Alexandrinorum* (Cambridge, 2008), esp. chapter 2. انظر أيضًا: مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ١٦٩-١٧١، ١٧٤-١٧٧.

(٧) أو على الأقل يشكلون غالبية سكانهما: Robert L. Wilken, *Judaism and the Early Christian Mind*: *A study of Cyril of Alexandria's Exegesis and Theology* (New Haven and London, 1971), 39.

أكثر مما حصلوا عليه من قبل:[٨]

على السكندريين أن يتحملوا اليهود وأن يعاملوهم معاملة حسنة لأنَّهم يقيمون معهم فى نفس المدينة، وألا يجوروا على حقٍّ من حقوقهم التى يتمتعون بها فى عبادتهم لآلهتهم، وأن يسمحوا لهم بأن يمارسوا عاداتهم كما كان الحال فى عصر المؤلَّه أغسطس (Augustus)، وهى العادات التى أوكدها أنا أيضًا، بعد أن سمعت من الجانبين. ومن ناحيةٍ أخرى، فإننى آمر اليهود أمرًا واضحًا ألا يطمحوا إلى مزيدٍ من الامتيازات أكثر مما كانوا يتمتعون به فى السابق... وألا يُقحموا أنفسهم فى ألعاب الجيمنازيوم (Gymnasium)، أو الكوسميتاى (*kosmētai*)، بينما هم يتمتعون بامتيازاتهم الخاصة، ويشتركون فى عددٍ كبيرٍ من الامتيازات فى مدينة ليست بمدينتهم؛ وعليهم ألا يحضروا يهودًا من سوريا أو أولئك الذين يأتون من صعيد مصر.

إنّ هذه الفقرة مهمة فيما يتعلق بموضوعنا من عدة جوانب.[٩] أولَّها: أنها توضح البعد التاريخي للخلافات بين اليهود والسكندريين، وأنَّها ازدادت بشكل خاصٍّ مع مجيء الرومان والامتيازات التي حصل عليه اليهود من الإمبراطور أغسطس شخصيًّا. وثانيًا: أنَّها توضح ميل اليهود مع مرور الوقت إلى المطالبة بمزيد من الامتيازات الاجتماعية والسياسية، كما يتضح من الإشارة إلى رغبتهم

---

[٨] *P. London* 6 1912 ll. 82-97(= *Sel. Pap.* 1 212 (AD 41)). والترجمة بتصرف نقلًا عن: آلان ك. بومان، مصر ما بعد الفراعنة: من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ترجمة السيد جاد والسيد رشدي ورضا رسلان، الإسكندرية، ٢٠١٣، ٣٦٤ .

[٩] قارن بشأن رد فعل اليهود والسكندريين تجاه الخطاب: Bell, Anti-Semitism in Alexandria, 10-11.

في دخول الجيمنازيوم. وثالثًا، وهو أمرٌ مهمٌّ بشكل خاص فيما يتعلق بموضوعنا، أنها تلفت النظر إلى ما صاحب ذلك من إعطاء الصراعات بعدًا دينيًّا أشار إليه الإمبراطور عندما أكد حرية اليهود في العبادة وممارسة طقوس دينهم وفقًا لمعتقداتهم. ومع ذلك لم يستمر اليهود طويلًا في التمتع بمكانتهم المتميزة في المدينة التي وصلوا إليها في النصف الأول القرن الأول الميلاديّ. لقد تدهورت أوضاعهم في أعقاب الثورات التي حدثت في أواخر هذا القرن وفي مطلع القرن التالي. وهكذا، فإنَّهم فقدوا مكانتهم المتميزة بعد الثورة التي قاموا بها فيما بين أعوام ١١٥-١١٧م، في قورينه والإسكندرية بسبب التنافس بينهم وبين اليونانيين، وانتشرت بعد ذلك في قبرص وفلسطين وبلاد الرافدين.[١٠] ويلاحظ كلاوس أنَّهم لم يعاودوا الظهور بعد ذلك في الوثائق إلا في القرن الرابع في خضم الصراع بين الأريوسيين وأصحاب العقيدة المونوفيزيقية.[١١]

وفي الفقرات التالية سوف أعرض باختصار لظهور المسيحية وانتشارها في مصر حتى تم الاعتراف بها في مطلع القرن الرابع الميلادي وما أعقب ذلك وصاحبه من تراجع الوثنية وازدياد حدة الصراع بين اليهود وأتباع الديانة

---

[١٠] يتضح ذلك من أنَّهم لم يشاركوا في ثورة بار كوخبا (Bar Kochba) التي حدثت في فلسطين بعد أقل من عقديْن، راجع: Lewis, *Life in Egypt under Roman Rule*, 30 وكذلك: مصطفى كمال عبدالعليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ١٩٦.

[١١] مانفريد كلاوس، الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة أشرف نادي أحمد، القاهرة، ٢٠٠٩، ١٧٩.

الجديدة في الإسكندرية. وفي الجزء التالي من الدراسة سأركز على أحداث عام ٤١٥م، عندما تطور الصراع إلى فتنة كبرى بين أتباع الديانتين السماويتين. وسأعرض في أثناء ذلك لآراء المؤرخين بشأن الفتنة وأحداثها ونتائجها؛ وكما سنرى فإنَّه يمكننا التمييز بين أسباب مباشرة لهذه الفتنة وبين أسباب حقيقية يتمثل أبرزها في تدخل اليهود في الصراعات المذهبية بين المسيحيين وبعضهم بعضًا.

-المسيحية من الظهور إلى الاعتراف

وصلت المسيحية إلى مصر من يودايا (Judaea) في فترة مبكرة بسبب العلاقات القوية بين الإسكندرية وبين فلسطين، ويرجع المؤرخون ذلك التاريخ إلى حوالي منتصف القرن الأول الميلاديّ.[١٢] ويذكر الكاتب الكنسي يوسيبيوس (Eusebius) الذي عاش في القرن الرابع الميلادي أن القديس مرقس (Marcus) زار مصر وبشر بالدين الجديد في الإسكندرية حواليّ منتصف القرن الأول الميلاديّ وأنه حقق نتائج باهرة في زيارته.[١٣] ومع ذلك فإنَّ يوسيبيوس يلاحظ الطابع الفلسفي وحياة التقشف الواضحة التي عاشها المعتنقون للديانة الجديدة منذ أعوامها الأولى، وفقًا لما ذكر فيلون (Philo) الذي نقل عنه يوسيبيوس، والذي ربما كان معاصرًا لتلك الأحداث. لقد كانت الإسكندرية مركزًا ثقافيًّا مهمًّا وكانت توجد به العديد من المدارس الفلسفية، ومن بينها الفلسفة الغنوسية (Gnosticism)

---

[١٢] بومان، مصر ما بعد الفراعنة، ٣٣١-٣٣٢؛ وأيضًا: C. Wilfred Griggs, *Early Egyptian Christianity: from its Origins to AD 451 CE*, (Leiden, 1990), 15, 19.

[١٣] Eusebius, *Historia Ecclesiastica*, 2.16.1-2.

التي ازدهرت فيها في القرن الأول الميلاديّ.

وهكذا فإنَّه كان على المفكرين المسيحيين في الإسكندرية منذ البداية مواجهة الأفكار الفلسفية والوثنية الموجودة في المدينة في خطٍّ مواز لمقاومتهم الاضطهاد الذي يواجهونه من المسؤولين في الإمبراطورية الرومانية. وتأسّست في الإسكندرية كنيسة تُنسَب إلى القديس مرقس لنشر تعاليم الديانة الجديدة قبل غيرها من المدن الرئيسية الأخرى. ويُعدُّ كليمنس/كليمنت السكندري (١٥٠-٢١٥م) من أوائل المفكرين المسيحيِّين ومن أشهرهم في القرن الثاني الميلاديّ الذين حاولوا مواجهة الأفكار الدينية الأخرى والتصدي لهجمات اليهود ضدّ المسيحية.[١٤] وعلى الرغم من تأثره بالثقافة اليونانية وفلسفة أفلاطون، فإنَّه كان يصر على أنّ الحقيقة توجد في تعاليم الديانة اليهودية وفي الأناجيل ورسائل الحواريين.[١٥]

وبعد كليمنس أتى تليمذه أوريجينيس (Origenes) (١٨٥- ٢٥٤م)، الذي شهد عهده صراعًا فكريًّا بين أتباع الديانة الوثنية واليهودية في الإسكندرية. لقد استكمل أوريجينيس مسيرة أستاذه في الدفاع عن العقيدة المسيحية ضد من يحاربونها، وكان يستخدم ما ورد في العهد القديم في رده على من يهاجمونها. ويتضح ذلك في مؤلفَّه 'ضد كيلسوس' (*Contra Celsum*)، الفيلسوف الوثنيّ الذي كتب كتابًا هاجم فيه عقيدة الدين الجديد، وأعطاه عنوانًا 'الكلمة الحقيقية،'

---

[١٤] Eric Osborn, *Clement of Alexandria* (Cambridge, 2005), 12-13.

[١٥] Osborn, *Clement of Alexandria*, 25.

(*The True Word*) واتهم فيه المسيحيين بأنَّهم غير عقلانيين وغير مثقفين، وحذر فيه أنَّهم سيتسببون في تدمير القيم المحافظة والمتوارثة.(١٦) ومن ناحية أخرى فإنَّه كانت له تفسيراته الخاصة ونظرته بشأن العديد من المعتقدات والممارسات اليهودية التي من بينها الختان، وما يذكره اليهود من أنَّهم شعب الله المختار، ونظرتهم إلى السيد المسيح عليه السلام.(١٧)

في ذلك الوقت كانت الديانة الجديدة قد انتشرت بالقدر الذي جعلها تستلفت انتباه الحكام الرومان وجعلهم يشعرون بخطورتها على الأوضاع في الإمبراطورية التي يديرونها، خاصة بعد أن شغل بعض المسيحيين مناصب في الجيش، وبدأ بعض أفراد الأسرة الإمبراطورية يميلون إلى الديانة الجديدة.(١٨) حقيقة أنّه حدثت بعض الصدامات بين المسيحيين وأتباع الديانات الوثنيَّة القديمة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، ولكنها كانت أحداثًا محلية، ولم تأخذ طابعًا عامًّا بالكيفيَّة التي حدثت في منتصف القرن الثالث الميلاديّ عندما صدر مرسوم الإمبراطور دِيكْيُوس (Decius) الذي بدأ في عهده أول اضطهاد رسميٍّ في الإمبراطورية الرومانية.(١٩)

---

(١٦) John Anthony McGuckin (ed.), *The Westminster Handbook to Origen* (Louisvillle-London, 2004), 72-74 [Stephen Thomas].

(١٧) N.R.M. de Lange, *Origen and the Jews: Studies in Jewish-Christian Relations in Third Century Palestine* (London, 1976), chapter 8.

(١٨) عن موقف الإمبراطور فيليب ذاته من المسيحية، انظر: Eusebius, *Historia Ecclesiastica*, 6.39.1.

(١٩) Olivier Hekster and Nicholas Zair, *Rome and its Empire: AD 193-284,* (Edinburgh, 2008), 60-70.

ومع أنّ اضطهاد ديكيوس لم يستمر لفترة طويلة؛ نظرًا لأن مدة حكم هذا الإمبراطور كانت قصيرة المدى (٢٤٩-٢٥١م)، ولأنّ عمليَّة الاضطهاد توقفت أيضًا في عهد الإمبراطور التالي جاللِينوس (Gallienus)،[٢٠] فإنّ الاضطهاد استمر بعد ذلك بقوة شديدة في عهد الأباطرة التالين. ومن أشهر هؤلاء الأباطرة فاليريانوس (Valerianus) والإمبراطور دقلديانوس (Diocletianus) الذي يُعرف عهده باسم 'عصر الشهداء'؛ نظرًا لقسوة البطش والتعذيب اللذين تعرض لهما المسيحيون في تلك الآونة. وعلى ما يبدو فإن اضطهاد المسيحيين كان بمثابة طريقة أو وسيلة منطقية بالنسبة للرومان لكي يتغلبوا على مشاكلهم، حيث إنه كان جزءًا من السياسة الإمبراطورية للحفاظ على كيانها.[٢١] ويرجع ذلك إلى نظرة المسيحيين تجاه العقيدة الوثنية وكونها شرّ، وأنَّهم اعتبروا أنفسهم مخلصين للمجتمع من هذا الشر، وهو أمر رأى المسئولون الرومان أنه يشكل خطرًا على الإمبراطورية.

-المسيحية واليهودية: ما بعد مرسوم قسطنطين

لقد تغيرت أوضاع المسيحيين بشكل جذري بعد أن أصدر قسطنطين وشريكه في الحكم عندئذٍ الإمبراطور ليكينيوس (Licinius)، مرسوم ميلان عام

---

[٢٠] بالنسبة لجاللِينوس، انظر: Hekster and Zair, *Rome and its Empire*, 75 وأيضًا: Eusebius, *Historia Ecclesiastica*, 7.13.

[٢١] Christopher S. Mackay, *Ancient Rome: A military and Political History* (Cambridge University Press, 2007), 287; Earle, E. Cairns, *Christianity through the Centuries: A History of Christian Church* (Zondervan Publishing, 1996), 90.

٣١٣م.[٢٢] لقد أصبح باستطاعة المسيحيين الذين ارتدوا في أثناء الاضطهاد أن يعودوا إلى ديانتهم كما أنّ قسطنطين اعترف بعد ذلك بحق الكنيسة في أن تكون لها مكانتها وممتلكاتها الخاصة.[٢٣] وسواء أكان قسطنطين يفكر في أن يجعل المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية أم لا، فإنّه كان لقراره آثاره بعيدة المدى فيما يتعلق بعلاقة المسيحية بالوثنية من جهة وعلاقتها باليهودية من جهة أخرى.

ويكفي أن نشير باختصار- فيما يتعلق بالديانة الوثنية- أنّ الوالي البرايتوري على الشرق، ماتيرنوس كونيجيوس (Maternus Cynegius)، أمر أثناء زيارته لمصر عام ٣٨٤م بإغلاق المعابد ومنع تقديم الأضحيات للإله زيوس. وبعد ذلك بستة أعوام، حاول ثيوفيلوس (Theophilus) بطريرك الإسكندرية أن يحول معبد ديونيسوس (Dionysus) إلى كنيسة.[٢٤] وقد أعقب ذلك صدام كبير بين الوثنيين والمسيحيين، انتهى بدخول المسيحيين معبد السيرابيون (Serapeion) الكبير. وكما هو معروف فقد تم القضاء على الديانة الوثنية وتحريمها قرب نهاية هذا القرن في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس

---

[٢٢] الذي سبقه مرسوم التسامح الذي أصدره جاليريوس قبل ذلك التاريخ بعامين، انظر نص المرسوم في: A. H. M. Jones, *Constantine and the Conversion of Europe* (London, 1948), 68-70. وبالنسبة لاعتناق قسطنطين الديانة الجديدة، انظر الفصل السادس (pp. 69-102).

[٢٣] A. Vasilliev, *History of the Byzantine Empire* (Madison, 1952), 51- 52.

[٢٤] مانفريد كلاوس، الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ٣٠٤-٣٠٥. انظر: Stephen Williams and Gerard Friell, *Theodosius: The Empire at Bay* (London, 1994), 92-93.

(Theodosius) الملقب بالكبير، الذي أصدر عدة مراسيم تحرم ممارسة طقوس العبادات الوثنية وأعقبها بعد ذلك بجعل المسيحية الديانة الوحيدة المعترف بها في الإمبراطورية، وأنهاها بمرسومه عام ٣٩١ الذي جرَّم فيه دخول المعابد والساحات الوثنية.[٢٥]

ولم تكن علاقة المسيحيين باليهود في القرن الرابع تختلف عن علاقتهم بالوثنيين. لقد بدأت حدة العداء تزداد بينهم وبين اليهود منذ الأعوام الأولى للاعتراف بالديانة المسيحية من قبل المسؤولين عن الإمبراطورية. وكما يصف فيلكن الأمر فإنّ أتباع الديانتين السماويتين دخلوا في صراع مرير مع بعضهم بعضًا، وبدا عندئذٍ كما لو أنّ "نجاح طرفٍ يعني بالضرورة نهاية الطرف الآخر."[٢٦] وعلى الرغم من أنّ المعلومات التي لدينا عن العلاقات بينهم ليست بالقدر الكبير الذي يعرفنا بالكيفية التي تطورت بها عبر عقود ذلك القرن،[٢٧] إلا أنَّه يمكننا الإشارة إلى بعض الأحداث المحددة التي تزودنا بفكرة عن طبيعتها العدائية. ويرتبط أول هذه الأحداث بمحاولة اليهود إقامة معبدهم في عهد الإمبراطور يوليانوس (Julianus)/ جوليانوس المرتد (٣٦١-٣٦٣م). أما بقية الأحداث فترتبط بتدخل اليهود في الصراعات التي دارت في المدينة بين

---

[٢٥] Williams and Friell, *Theodosius: The Empire at Bay*, 90-91.

[٢٦] Wilken, *Judaism and the Early Christian Mind*, 46.

[٢٧] Christopher Haas, *Alexandria in Late Antiquity: Topography and Social Conflict* (Baltimore, 1997), 91-92, 109-110. انظر كذلك: Victor A. Tcherikover and Alexander Fuks, *Corpus Papyrorum Judaicarum,* vol. 1 (Cambridge, 1957), 97-98.

أصحاب المذهب الأريوسي والمذهب المونوفيزيقي- حيث وقف اليهود إلى جانب أتباع المذهب الأريوسي ضد مذهب الكنيسة الرسمية التابعة للدولة. ويُعَرِّفُنا المؤرخ الكنسيّ سوكراتيس (Socrates) بقصة بناء المعبد في أورشليم وأنَّها كانت بناء على توجيهاتٍ من الإمبراطور يوليانوس شخصيًّا رغبة منه في مضايقة المسيحيين، الذي أمر كذلك ببناء المعبد على نفقة الإمبراطورية وزود اليهود بكافة مستلزمات البناء الضرورية من أخشاب وأحجار وغيرها من المواد لتحقيق هذا الأمر. ويتوقف المؤرخ عند كلمات كيرلس أسقف أورشليم عندئذٍ الذي أشار في حديث له إلى 'نبوءة دانيال' التي أكدها السيد المسيح أيضًا في الأناجيل، والتي مؤدَّاها أن هذا المعبد لن تقوم له قائمة. وبالفعل لم يكتمل المعبد بسبب حدوث زلزال كبير في ذلك العام لم يمكن اليهود من إكمال البناء، وينهي سوكراتيس حديثه عن هذه الأحداث معلقًا إنَّه بدلًا من إعادة بناء المعبد، فإنَّه تهدم تمامًا.[٢٨]

ومن ناحية أخرى فإنّ العلاقات بين اليهود والمسيحيين في الإسكندرية تميزت، كما يلاحظ فيلكن، بازدياد معدل العداء بين الطرفين بالإضافة إلى الخلافات حول الموضوعات العقائدية.[٢٩] ويرجع السبب في ازدياد معدل هذا العداء في القرن الرابع إلى تدخل اليهود في الصراعات المذهبية بين المسيحيين وبعضهم بعضًا، بالإضافة إلى عامل اقتصادي يتمثل في إعفاء اليهود من الالتزامات الإجبارية المتعلقة بأسطول الغلال وكونها مصدر معاناةٍ للمسيحيين

---

[٢٨] Socrates, *Historia Ecclesiastica*, 3.20.

[٢٩] Wilken, *Judaism and the Early Christian Mind*, 40.

العاملين في مجال البحرية (navicularii)، والذين كانوا بدورهم من أشد المؤيدين لبطريرك الإسكندرية.[٣٠] ويمكن الإشارة كذلك إلى تركيز رجال الدين المسيحيين واليهود في المناقشات العديدة التي دارت بينهم في هذا القرن على الاختلافات بين الديانتين السماويتين، والتي تلخصها الكتابات المعروفة باسم 'ضد اليهود' (*Adversus Judeos*)، وبخاصة لأنّ اليهود وقفوا إلى جوار كافة الجماعات المعارضة لعقيدة مجمع نيقيا (Nicaea) عام ٣٢٥م.[٣١]

وقد شهدت الإسكندرية في ثلاثينيات القرن الرابع بعض الصراعات المذهبية بين الأريوسيين والمونوفيزيقيين التي كان الوثنيون واليهود طرفاً فيها والتي أدى تدخلهم فيها إلى ازدياد حدة الصراع والعداء بين الطرفين.[٣٢] ويشير أثناسيوس (Athanasius) بطريرك الإسكندرية لما يزيد عن أربعين سنة (٣٢٨-٣٧٣م) إلى هذه الصراعات في بعض رسائله التي وجهها إلى بعض زملائه من الأساقفة والمعروفة باسم 'الرسائل الدورية' (*Epistola Encyclica*). ومما يدل على قوة تلك الصراعات أنّ أثناسيوس اضطر عدة مرات لمغادرة الإسكندرية إلى المنفى بسبب عقيدته المونوفيزيقية.[٣٣] في خلال تلك الأعوام كان يشغل

---

(٣٠) Haas, *Alexandria in Late Antiquity*, 117-118.

(٣١) Haas, *Alexandria in Late Antiquity*, 123-125.

(٣٢) Natalie B. Dohrmann and Annette Yoshike Reed, *Jews, Christians, and the Roman Empire* (Philadelphia, 2013), 244-245.

(٣٣) عن حياته وأعماله، انظر بشكل عام: Khaled Anatolios, *Athansius: The Early Church Fathers* (London and New York, 2004), 1-30. وعن دور الأباطرة في نفيه وعودته: R. Malcolm Errington, *Roman Imperial Policy: From Julian to*

منصب البطريرك في الإسكندرية أسقف أريوسيٌّ يُدعى جريجوريوس (Gregorius) من كبَّادوكيا (Cappadocia)، يشير أثناسيوس في رسالته الدورية الثانية إلى أنَّ تعيينه أسقفًا للإسكندرية بدلًا منه كان بالمخالفة لكافة الأعراف السابقة، خاصة أنه [أثناسيوس] لم يرتكب أي خطأ، ولم يوجه أحدٌ من رعايا الكنيسة أية شكاوى ضدَّه.(٣٤)

ويتناول أثناسيوس في رسائله الدورية تفاصيل النزاعات التي حدثت في الإسكندرية بسبب تعيين جريجوريوس عام ٣٣٥م. وهكذا فإنَّه يشير في رسالتيه الثانية والثالثة إلى حرص الوالي على مصر عندئذٍ، وكان يُدعَى فيلارجيوس (Philargius) وكان أيضًا من كبَّادوكيا، على تنصيب جريجوريوس بالقوة. ويذكر بالتفصيل الفظائع التي تم ارتكابها في حقّ الكنائس وما كان من حرقها وحرق المعمودية، وسوء المعاملة التي لقيتها الراهبات اللائي تعرين وكذلك الرهبان الذين سحلوا في الطرقات. وقد حرص قبل أن يسترسل في وصف هذه الجرائم على الإشارة إلى أنَّها تمت بتوجيهات من الوالي وأنَّه عاونه في ذلك حشدٌ من الغوغاء واليهود. كذلك فإنَّه كرر مرة أخرى الفظائع التي قاموا بها قائلًا: "أما اليهود، قتلة الرب، هم والوثنيون الكفرة، فقد دخلوا بدون توقير (ويا لجرأتهم المتناهية) المعمودية المقدسة، وخلعوا ملابسهم، وتصرفوا تصرفات

Theodosius (Chapil Hill, 2006), 173-180.

(٣٤) Athanasius, *Epistola Encyclica*, 2. انظر كذلك: مانفريد كلاوس، الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ٢٩١ .

مشينة بالقول والفعل، بكيفية يخجل المرء من ذكرها."[٣٥] وفي رسالته الرابعة يشير أثناسيوس إلى بعض الصراعات الأخرى التي حدثت عام ٣٣٩م، والتي كان الأسقف الأريوسيّ جريجوريوس أيضًا طرفًا فيها. ويبدأ رسالته بالإشارة إلى أنّ الأسقف كافأ الذين عاونوه في اقتحام الكنيسة من الوثنيين واليهود بأن سمح لهم بنهبها. ويذكر أثناسيوس عبارة "الوثنيين واليهود" مرة أخرى في رسالته السابعة، حيث يكرر الإشارة إلى الفظائع التي ارتكبوها من "اضطهادات واغتصاب للراهبات وقتل ونهب ممتلكات الكنيسة وإشعال حرائق ومن كفر وتجديف."[٣٦]

ومن ناحية أخرى يشير ثيودوريتوس (Theodoretus) في كتابه عن تاريخ الكنيسة إلى أحداث العنف التي صاحبت ترسيم بطرس الثاني أسقفًا على الإسكندرية بعد أثناسيوس، ويقتبس رسالته عن تلك الأحداث. لقد حدث عندئذٍ **(عام ٣٧٤م)** أن تدخل حاكم الولاية في ذلك الوقت ويُدعى باللاديوس (Palladius) بمساعدة "حشدٍ من اليونانيين [أي الوثنيين] واليهود،" واضطر

---

[٣٥] Athanasius, *Epistola Encyclica,* 2-3. [trans. Atkinson and Robertson].

[٣٦] Athanasius, *Epistola Encyclica,* 4. [trans. Atkinson and Robertson]. انظر كذلك بالنسبة لأحداث عام ٣٥٦م التي كانت في الأساس بسبب صراع عقائدي بين الأريوسيين وأصحاب الطبيعة الواحدة ولكنها أظهرت "توترات مجتمعية أوسع نطاقًا": Christopher Haas, "The Alexandrian Riot of 356 and George of Cappadocia," *Greek, Roman and Byzantine Studies* 32 (1991), 281-301, quote at 282.

بطرس إلى مغادرة المدينة وتم تعيين أسقف أريوسيّ يُدعَى لوكيوس (Lucius).[٣٧] وقد حدث في عهد هذا الأسقف اضطهاد لأتباع العقيدة المونوفيزيقية ساهم فيه الوثنيون واليهود، وفرّ في أثنائه بعض أتباع هذه العقيدة إلى داخل البلاد. ويشير الخطاب إلى مشاركة حاكم الولاية في ذلك الوقت في الهجوم على كنيسة ثيوناس (Theonas)، وما صاحب ذلك من تدنيس المقدسات واعتداء على الراهبات.

ويشير ثيودوريتوس كذلك إلى محاكمة بعض رجال الدين أمام جمهور هائج من الوثنيين واليهود، والحكم عليهم بالنفي إلى مدينة ديوقيصريه (Dio-Caesarea) في منطقة إيساوريا (Isauria) في آسيا الصغرى التي يقيم فيها "اليهود الذين قتلوا الرب."[٣٨] ويحدد هاس موقع هذا الأحداث بأنَّه قرب الميناء الغربيّ (Eunostos Harbour) حيث يقيم عدد كبير من أتباع العقيدة المونوفيزيقية العاملين في أسطول نقل الحبوب إلى القسطنطينية، والمؤيدين للبطريرك، وهو ما يعد مؤشرًا لحجم أتباعها في الوقت ذاته.[٣٩]

-فتنة عام ٤١٥م

---

[٣٧] Theodoretus, *Historia Ecclesiastica*, 4.18-19. انظر أيضًا: Griggs, *Early Egyptian Christianity*, 181-182; Errington, *Roman Imperial Policy*, 186-187, 211.

[٣٨] قارن كذلك: Sozumen, *Historia Ecclesiastica,* 6.20 الذي يشير إلى مهاجمة لوكيوس الرهبان المقيمين في الصحراء بمساعدة الوالي وجنوده. وعن دور اليهود: Wessel, *Cyril of Alexandria*, 37.

[٣٩] Haas, *Alexandria in Late Antiquity*, 126.

يتضح من المناقشة السابقة للعلاقات بين اليهود والمسيحيين في الإسكندرية في القرن الرابع الميلادي أنَّها كانت تتسم بالعداء الشديد بين اليهود وبين أصحاب العقيدة المونوفيزيقية الذين كانوا يمثلون الأكثرية في المدينة وبقية أرجاء البلاد. ويتضح كذلك- بعد نجاح أصحاب تلك العقيدة في القضاء على العقيدة الوثنية واقتحام السيرابيون الكبير في المدينة- أنّ المواجهة أصبحت مباشرة بينهم وبين اليهود. وكما سنرى فإنّ تلك المواجهة كانت أمرًا محتومًا، بقدر ما إنّ الصراع أصبح وجوديًّا بالنسبة لليهود، وكما لاحظ تشيريكوفر وفوكس من قبل، فإنّ هزيمة اليهود في النهاية كانت مؤكدة بالنظر إلى التفاوت الكبير بين القوتين.[٤٠] وبطبيعة الحال فإنّ ذلك الصدام كان أمرًا مؤكدًا ومتوقعًا بالنظر- من ناحية- إلى التاريخ الطويل للصراع بين الطرفين، ومن ناحية أخرى إلى حدَّته وقوته وازدياد معدله بعد الاعتراف بالمسيحية في القرن السابق. وكما سبقت الإشارة فإنَّه يمكننا دائمًا في مناقشتنا لأحداث هذه الفتنة التمييز بين الأسباب الحقيقية التي ترجع جذورها إلى القرون السابقة، والتي زادت من حدة هذه الأحداث وقسوتها، وبين الأسباب المباشرة التي أدت إلى وقوعها في هذا الوقت على وجه التحديد.

لقد وقعت هذه الفتنة في عهد بطريرك يُدعى كيرلس السكندري (Cyril of Alexandria)، الذي تم تعيينه عام ٤١٢م، بعد يومين أو ثلاثة من وفاة عمِّه

---

[٤٠] Tcherikover and Fuks, *Corpus Papyrorum Judaicarum*, 97: "But the disproportion of forces dispelled any doubts as to the result of the struggle: from the very beginning the defeat of the Jews was certain."

ثيوفيلوس (Theophilus) الذي سبق له أيضًا شغل هذا المنصب من عام ٣٨٥م. ولم يكن تولي كيرلس البطريركية بالأمر السهل. لقد كان هناك منافسٌ له هو كبير الشمامسة، ويُدعى تيموثيوس (Timotheus)،[٤١] الذي حصل على تأييد قائد القوات العسكرية في المدينة وأيده في ذلك اليهود. ولدينا وصف الكاتب الكنسي سوكراتيس/سقراط الذي كان معاصرًا للأحداث (٣٨٠-٤٣٩م)، والذي يشير إلى هذه الحادثة- مستبقًا الأحداث نوعًا ما- ويوضح أنّ أساقفة الإسكندرية منذ ذلك التاريخ تخطوا سلطاتهم الدينية وتدخلوا في الشؤون المدنية. ولكنه يذكر بعدها مباشرة أنّ أول أعمال كيرلس كانت أنه أغلق كنائس أتباع نوفاتيوس (Novatius)، واستولى على محتوياتها، وسلب أسقفهم ثيوبيمبتوس (Theopemptus) ما كان لديه من سلطات.[٤٢] وعلى ما يبدو فإنّ خطوته ضدَّهم كانت بسبب تأييدهم لمنافسه في المنصب.

وبالإضافة إلى سوكراتيس الذي يشير إلى الفتنة، والذي ربما كان أيضًا على صلة ببعض الشخصيات التي شهدت أحداثها،[٤٣] لدينا وصفٌ مختصرٌ لها

---

(٤١) Susan Wessel, *Cyril of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic* (Oxford, 2004), 15.

(٤٢) Norman Russel, *Cyril of Alexandria* (London and New York, 2000), 7; Socrates, *Historia Ecclesiastica*, 7.7.11-13: καὶ γὰρ ἐξ ἐκείνου ἡ ἐπισκοπὴ Ἀλεξανδρείας πέρα τῆς ἱερατικῆς τάξεως καταδυναστεύειν τῶν πραγμάτων ἔλαβε τὴν ἀρχήν….

(٤٣) انظر أيضًا الدراسة المهمة لمصادر أحداث هذا القرن فـــي: Oded Irshai, "Christian Historiographers' Reflections on Jewish-Christian Violence in Fifth-Century Alexandria," in *Jews, Christians, and the Roman Empire*, eds. Natalie B. Dohrmann and Annette Yoshike Reed (Philadelphia, 2013), 137-153.

في تاريخ يوحنا النيقيويّ/النِّقيوسيّ (John of Nikiu)، الذي عاش في القرن السابع الميلاديّ وكان أسقفًا في مصر العليا.[٤٤] ويذكر سوكراتيس أنّ اليهود اجتمعوا في المسرح لسماع مرسوم يلقيه عليهم أوريستيس (Orestes) والي الإسكندرية يتعلق بالعروض المسرحية التي كانوا يحبون مشاهدتها في يوم إجازتهم، يوم السبت، والتي أراد الوالي في تلك المناسبة تنظيمها. وقد حضر الاجتماع بعض أتباع البطريرك، وكان من بينهم مدرسٌ يُعرف باسم هيراكس (Hierax)، وكان أحد المتابعين المتحمسين لكيرلس وكان كثير التصفيق فيها. وعندما أحس اليهود بوجوده تشككوا في أنَّه حضر بنية إثارة المشكلات، وأبلغوا أوريستيس الذي قبض عليه، واستجوبه تحت التعذيب. وعندما علم كيرلس بذلك جمع قادة اليهود، وهددهم بأنهم سيثأر منهم إذا ما اعتدوا على المسيحيين. وبدلًا من أن يركن اليهود إلى الهدوء فإنَّهم دبروا مكيدةً انقلبت عليهم أدت في النهاية– وفقًا لما يذكره سوكراتيس– وأدَّت إلى إبعادهم تمامًا من المدينة.[٤٥]

لقد أشاع اليهود في إحدى الليالي أن كنيسة تُعرف باسم كنيسة الإسكندر تحترق، وعندما سارع المسيحيون لإنقاذ المبنى، حاصرهم اليهود، الذين ميزوا

---

(٤٤) John of Nikiu, *Chronicon*, 84.91-98. [trans. Charles]. ويذكر واتس أنَّ يوحنَّا يعتمد على الرواية المصرية: Edward J. Watts, *Riot in Alexandria: Tradition and Group Dynamics in Late Antique Pagan and Christian Communities* (Berkeley, 2010), 208.

(٤٥) Socrates, *Historia Ecclesiastica*, 7.13.35-38: Τὸ δὲ πλῆθος τῶν Ἰουδαίων τῆς ἀπειλῆς αἰσθόμενον φιλονεικότερον γέγονε· καὶ μηχανὰς ἐπενόουν ἐπὶ βλάβῃ τῶν Χριστιανῶν, ὧν τὴν κορυφαιοτάτην καὶ αἰτίαν τοῦ ἐξελαθῆναι αὐτοὺς τῆς Ἀλεξανδρείας γενομένην διηγήσομαι.

أنفسهم بخواتم مصنوعة من سعف النخيل، وقتلوا عددًا منهم. ولم يتوان كيرلس عن تنفيذ وعيده. ويذكر سوكراتيس ما فعله البطريرك، في فجر اليوم التالي وبعد أن افتضح أمر المتآمرين، قائلًا:[٤٦]

> ذهب كيرلس وبصحبته عددٌ كبير من الناس إلى صوامعهم (وهو الاسم الذي يطلقونه على أماكن عبادتهم)، واستولى عليها، ومن ناحية أخرى فإنَّه طردهم [اليهود] من المدينة، وسمح للعامة أن ينهبوا ممتلكاتهم. وهكذا تم إبعاد اليهود، الذين أقاموا في المدينة منذ عهد الإسكندر المقدونيّ– عنها، وحُرموا من كافة ممتلكاتهم، وتفرقوا بعضهم في هذا الاتجاه والبعض الآخر في ذاك.
>
> ὁ Κύριλλος σὺν πολλῷ πλήθει ἐπὶ τὰς συναγωγὰς τῶν Ἰουδαίων παραγενόμενος, – οὕτω γὰρ τοὺς εὐκτηρίους αὐτῶν ὀνομάζουσι τόπους, – τὰς μὲν ἀφαιρεῖται, τοὺς δὲ ἐξελαύνει τῆς πόλεως, καὶ τὰς οὐσίας αὐτῶν διαρπαγῆναι ὑπὸ τοῦ πλήθους ἀφείς. Οἱ μὲν οὖν Ἰουδαῖοι, ἐκ τῶν Ἀλεξάνδρου τοῦ Μακεδόνος χρόνων οἰκήσαντες τὴν πόλιν, τότε αὐτῆς γυμνοὶ ἅπαντες ἀπανέστησαν, καὶ ἄλλοι ἀλλαχοῦ διεσπάρησαν.

ويشير سوكراتيس بعد ذلك إلى طبيب يهوديٍّ يُدعى أدامانتيوس (Adamantius) استطاع الهروب إلى القسطنطينية ومقابلة بطريركها أتيكوس (Atticus)، وهنالك اعتنق المسيحية، ثم عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية واستقر به المقام فيها في نهاية المطاف.

إنّ السبب الذي يذكره سوكراتيس وراء الحادثة يحتم علينا بالضرورة أن

---

(٤٦) Socrates, *Historia Ecclesiastica,* 7.13.48-53. انظر كذلك: John of Nikiu, *Chronicon,* 84.98-99. [trans. Charles]. وأيضًا: Eirini Artemi, "Cyril of Alexandria (412-444) and his Patriarchic Period according to Socrates Scholasticus," Journal of Medieval and Islamic History 12 (2018-2019), 38.

نتوقف عند رد الفعل تجاهها، سواء من جانب كيرلس أو من جانب اليهود. وكما يلاحظ فيلكن، فإنّه لا يوجد ما يدعو إلى رفض الخطوط العامة للوصف الذي يورده المؤرخ الكنسيّ، ولكنه يجب مع ذلك ملاحظة أن الأسباب التي يذكرها وراء الحادثة غير مقنعة– إنّ الأمر المهم في تقديره هو دلالتها بالنسبة للعلاقات بين اليهود والمسيحيين.(٤٧)

وفي هذا السياق من المهم ملاحظة أنّ سوكراتيس لا يقف طويلًا عند هيراكس، باستثناء وصفه بأنَّه من الأشخاص القريبين من كيرلس، ولا يستطرد كثيرًا عن المرسوم الذي كان يلقيه الوالي بشأن احتفالات اليهود في المسرح. إنَّه يعرفنا برأيه في البداية أنّ السبب في الحادثة لم يكن أمرًا مهمًّا في حدّ ذاته، بل مجرد حب العامة في مدينة الإسكندرية كما هو الحال في المدن الأخرى للعروض الراقصة (τοὺς ὀρχηστάς) وما يصاحب ذلك من فوضي وعدم نظام.

ويوضح سوكراتيس بعد ذلك أنّ الوالي كان بصدد إعلان بعض القواعد المنظمة لهذه العروض، وأنه كان حاضرًا آنذاك بعض أتباع البطريرك كيرلس رغبة منهم في معرفة هذه القواعد.(٤٨) وبينما يؤكد يوحنا النِّقيوسِيّ هذا الأمر فإنَّه على الرغم من ذلك واضحٌ فيما يتعلق بأنَّ أتباع كيرلس ذهبوا بناء على

---

(٤٧) Wilken, *Judaism and the Early Christian Mind*, 57:"Socrates' explanation of the causes of the outburst are less than persuasive. However, the actual reason for the disturbance is not important…."

(٤٨) Socrates, *Historia Ecclesiastica*, 7.13.19-23: Καὶ δὴ τότε Ὀρέστου τοῦ τῆς Ἀλεξανδρείας ἐπάρχου ‘πολιτείαν’ ἐν τῷ θεάτρῳ ποιοῦντος,– οὕτω δὲ ὀνομάζειν εἰώθασιν τὰς δημοτικὰς διατυπώσεις,– παρῆσαν καὶ τοῦ ἐπισκόπου Κυρίλλου οἱ σπουδασταὶ, τὰς γινομένας παρὰ τοῦ ἐπάρχου διατυπώσεις γνῶναι βουλόμενοι.

توجيهات منه شخصيًّا لأن كيرلس كان يرغب- على حد قوله- في معرفة مضمون المرسوم بدقة.[٤٩] ويبدو من وصف سوكراتيس أن هناك حلقة مفقودة خاصة أنّ تركيزه ينتقل بعد ذلك إلى ملاحظة اليهود لهيراكس، واتهامهم له تحديدًا بأنَّه أتى ليثير الفتنة والمشكلات (ἵνα στάσιν)، كما سبقت الإشارة. ولا نملك هنا سوى أن نتساءل عمَّا إذا كان هيراكس قام فعلًا بعملٍ ما يستدعي تخصيص اليهود له بالاتهام. وعلى سبيل المثال، هل أصدر الوالي بعض القرارات التي لم تعجب اليهود والتي أعلن هيراكس موافقته عليها، وقاد المجموعة المصاحبة له للتشجيع لها، مما أثار حفيظة اليهود وصبوا جام غضبهم عليه؟[٥٠] إنّ هذه الفرضية تبدو محتملة، وإن كان يقابلها بطبيعة الحال صمت المؤرخ عن هذه التفاصيل. ومن ناحية أخرى فإنَّه لا يمكننا استبعاد الخلافات بين وجهات نظر اليهود والمسيحيين تجاه العروض المسرحية وبعض الممثلين، بوصفها سببًا في نشوء الخلاف.[٥١]

وتجعلنا المقارنة بين السبب المباشر الذي يذكره سوكراتيس- المتمثل في حضور هيراكس اجتماع الوالي- وبين ردود أفعال كيرلس وقادة اليهود ندرك أنّ الأسباب الحقيقية وراء الحادثة توجد في مكان آخر. وبالتأكيد فإنَّها تكمن في البيئة المشحونة بالعنف التي كانت المدينة تعيشها في ذلك الوقت، وهو عنف

---

[٤٩] John of Nikiu, *Chronicon*, 84.90. [trans. Charles].

[٥٠] انظر: Griggs, *Early Egyptian Christianity*, 190-191 الذي يلاحظ أنّ هذا السبب كان مجرد 'ذريعة' (pretext).

[٥١] Wessel, *Cyril of Alexandria*, 34 with note 68.

كان قائمًا بين كافة الجماعات الدينية من مسيحيين ويهود ووثنيين، بل وبين أصحاب المذاهب المختلفة من المسيحيين أنفسهم.(٥٢)

ويساعدنا على ذلك سوكراتيس ذاته الذي كان يعلم أنّ الخلاف حول العروض الراقصة، أو ما حدث في المسرح ذلك اليوم، لا يعدو كونه ذريعة أو مبررًا لتجديد الصراع. إنه يستطرد في مقدمة حديثه موضحًا أنّ اليهود كانوا يشكلون طائفةً مثيرة للمشاكل في المدينة، وأنهم كانوا يكرهون المسيحيين ويعادونهم عداوة شديدة. وهكذا فإنّ الخلاف حول العروض الراقصة التي تُقَدَّم في الجيمنازيوم كان في تقديره مجرد عامل إضافيٍّ يضاف إلى ما سبق.(٥٣) وهكذا فإنَّه– فيما يتعلق بهذه الحادثة تحديدًا– يمكننا محاولة البحث عن دوافع حقيقية عند كل من أطرافها الثلاثة: كيرلس واليهود والوالي ذاته.

لقد كان كيرلس– بالمقارنة بمن سبقه من البطاركة– من أكبر المعادين لليهود، وكانت خطبه مشحونة ضدَّهم بالعديد من الصفات التي تسمهم بالكفر وبأنّهم 'قتلة الرب'، ويستلفت الانتباه هنا أنَّه وصفهم في خطبة له في العام السابق مباشرة للأحداث بأنَّ "مُحَيَّاهم يمتلىء بكافة أنواع الدنس."(٥٤) ومن ناحية

---

(٥٢) Russel, *Cyril of Alexandria*, 3.

(٥٣) Socrates, *Historia Ecclesiastica*, 7.13.15-18: οὐδὲν ἧττον ἔμειναν οἱ Ἰουδαῖοι τοῖς τοῦ ἑτέρου μέρους ἀντιπαθοῦντες· καὶ ἀεὶ μὲν πολέμιοι πανταχοῦ τοῖς Χριστιανοῖς καθεστῶτες, ἔτι δὲ πλέον διὰ τοὺς ὀρχηστὰς ἐκπεπολέμωντο καθ' ἑαυτῶν.

(٥٤) Haas, *Alexandria in Late Antiquity*, 300-301: "Clearly, Cyril had assumed a stance of uncompromising opposition to the Jews"; Wilken, *Judaism and the Early Christian Mind*, 60-61.

أخرى فإنَّه– بالتأكيد– لم ينس أن اليهود وقفوا إلى جوار منافسه في الوصول إلى كرسي البطريركية، قبل أعوام قليلة مضت.[٥٥] لقد كانت لدى كيرلس أسبابه الشخصية والعقائدية لمعاقبة اليهود عندما تتاح له الفرصة، وهو الأمر الذي يفسر التهديد الذي وجهه بنفسه لقادة اليهود أنفسهم وفي حضورهم (ὁ Κύριλλος μεταπέμπεται τοὺς Ἰουδαίων πρωτεύοντας).

ومن ناحية أخرى فإنّ اليهود لم يكونوا يجهلون هذه المشاعر، بالإضافة إلى أنَّهم كانوا يدركون أيضًا البيئة العنيفة والمعادية التي يعيشون فيها، في أعقاب القرارات التي أصدرها الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير والتي جعلت من المسيحية الديانة الوحيدة المعترف بها في الإمبراطورية، خاصة وأنه أعقبها تدمير السيرابيون وكافة المعابد الوثنية في الإسكندرية على يد ثيوفيلوس، عم كيرلس والبطريرك السابق، كما سبقت الإشارة. لقد كانت الفجوة بين المجتمع اليهودي في المدينة وبين المسيحيين على وجه التحديد تتسع مع مرور الوقت وزاد منها القرارات التي صدرت عن المجامع الكنسية التي تحد من التعاملات بين اليهود والمسيحيين والتي من بينها تحريم الزواج المختلط بينهم، وإقامة الولائم والاحتفالات مع اليهود، واعتبار هذه الطائفة الأخيرة طائفة شريرة أو ملحدة (*nefaria secta*).[٥٦]

أما الطرف الثالث في هذه الحادثة فهو الوالي أوريستيس. وهنا فإنّه يستلفت الانتباه– في البداية– استجابته لشكوى اليهود، ومبادرته بتعذيب هيراكس

---

[٥٥] Russel, *Cyril of Alexandria*, 8.

[٥٦] Dohrmann and Reed, *Jews, Christians, and the Roman Empire*, 244-245.

في المسرح لكي يحصل منه على الاعتراف. ومما يدل على أنّ سلوك الوالي لم يكن وليد اللحظة ما يذكره سوكراتيس، ويكرره بعد ذلك يوحنا النِّقيوسِيّ ببعض التصرف، من أنّ العلاقة بين أوريستيس وبين كيرلس لم تكن وديَّة وأنه كان لم يكن راضيًا من قبل عن تدخلات الأساقفة في صلاحيات السلطات المدنية.[٥٧] وقد دفعه ذلك إلى الاعتقاد أنّ كيرلس أرسل أتباعه للتجسس على الاجتماع، وأمر على الفور بالقبض على هيراكس وتعذيبه.[٥٨] وفي الحقيقة فإنّ انطباع الوالي كان صحيحًا؛ نظرًا لأنّ كيرلس، عندما عَرِف بأمر الواقعة، تصرف من تلقاء نفسه مع اليهود مباشرة، ولم يناقش الأمر معه.

ومع ذلك فإننا نعرف من رواية سوكراتيس أن كيرلس حاول تهدئة الأمور مع الوالي بعد أن فعله ما فعله مع اليهود. إنَّه يذكر أنّ الوالي كتب في أعقاب الحادثة إلى الإمبراطور في روما، يشكو مما فعله كيرلس، ويذكر أنَّه نتيجة لما فعله البطريرك من أعمال فظيعة فإنَّه حرم مثل هذه المدينة الكبيرة من جزء كبير من سكانها.[٥٩] وبدوره فإنّ كيرلس أرسل أيضًا خطابًا للإمبراطور يشرح له فيه الأمر من وجهة نظره، وأرسل إلى الوالي بعض الأشخاص لكي يحاولوا تهدئة الأمور معه، ومن الطريف أنّ المؤرخ يذكر أنَّه أقدم على هذه الخطوة

---

(٥٧) انظر: Bell, Anti-Semitism in Alexandria, 17 وتعليقه أن كيرلس كان يريد أن يكون ملكًا غير متوج على مصر.

(٥٨) Socrates, *Historia Ecclesiastica,* 7.13.29-34. انظر كذلك: John of Nikiu, *Chronicon,* 84.93. [trans. Charles].

(٥٩) Socrates, *Historia Ecclesiastica,* 7.13.59-61.

(οὗτο γὰρ ὁ λαὸς τῶν Ἀλεξανδρέων αὐτὸν ποιεῖν κατηνάγκαζεν).[٦٠] وعلى ما يبدو فإنّ محاولة الوساطة لم تنجح، وأن كيرلس حاول بنفسه إصلاح الأمر مع الوالي حيث يذكر سوكراتيس أنَّه قدم له الإنجيل اعتقادًا منه أنّ ذلك سيجعل أوريستيس يتغاضي عن الأمر، ولكن هذه المحاولة لم تنجح بدروها أيضًا، وظل الوالي على عداوته الشديدة والصريحة (ἄσπονδος πόλεμος) تجاه البطريرك.[٦١]

وهكذا فإنّ المواجهة الثانية في هذه الفتنة كانت بين كيرلس والوالي. ووفقًا لما يذكره سوكراتيس فإنّ كيرلس استعد لها كما لو كان سيخوض حربًا معه. لقد أحضر إلى الإسكندرية عددًا من رهبان وادي النطرون الذين استخدمهم البطريرك السابق ثيوفيلوس من قبل في صراعاته مع المخالفين له في العقيدة، وقد حضر هؤلاء على وجه السرعة وهم متحمسون للقتال بشراسة في جانب كيرلس (ὑπὲρ Κυρίλλου μάχεσθαι προηροῦντο)، وكان عددهم يبلغ حوالي خمسمائة راهب (ἄνδρες περὶ τοὺς πεντακοσίους).[٦٢]

وقد حدثت المواجهة مع الوالي عندما قابل بعض هؤلاء الرهبان موكبه، واتهمه بعضهم بأنَّه وثنيٌّ يعبد الأصنام، ووجهوا له كذلك بعض الشتائم. وخشية منه أن يكون هذا الأمر مكيدة مدبرة له من كيرلس، فإنَّه ردّ عليهم بأنَّه مسيحيّ،

---

[٦٠] Socrates, *Historia Ecclesiastica*, 7.13.64-69.

[٦١] Socrates, *Historia Ecclesiastica*, 7.13.61-64. وعن دلالة تقديم الإنجيل: Wessel, *Cyril of Alexandria*, 36.

[٦٢] Socrates, *Historia Ecclesiastica*, 7.14.1-7.

وأنه تم تعميده بواسطة أسقف القسطنطينية، أتيكوس. ولكن الرهبان لم يلقوا بالًا لهذه الردود، وألقى أحدهم ويُدعى أمُّونيوس (Ammonius) حجرًا تجاه أورستيس أصابه في رأسه وجعل الدماء تسيل منها. وعلى الرغم من أنّ الجنود الذين يحرسون الوالي سارعوا إلى الفرار، فإنَّه هبّ لمساعدته بعض أهالي المدينة الذين طاردوا الرهبان واستطاعوا القبض على أمُّونيوس وتسليمه للوالي. وعلى الفور أخضع الوالي أمُّونيوس للتعذيب علانية، وكان التعذيب شديدًا حتى أنَّه مات لساعته. ولم يمر وقت طويل على ذلك (οὐκ εἰς μακρὰν) حتى سارع الوالي بالكتابة للإمبراطور بما حدث. وبدوره كتب كيرلس رسالة أخرى للإمبراطور يعرض عليه فيها رواية أخرى (τὰ ἐναντία) للأحداث من منظور مختلف.(٦٣)

إنّ سوكراتيس يستطرد بعد ذلك للحديث عن أمُّونيوس، وكيف أنّ كيرلس حاول أن يرفعه إلى مرتبة الشهداء، ولكن محاولته لم تنجح بسبب معارضة بعض المسيحيين المدركين لحقيقة الأمر، والذين لاحظوا أنه لم يمت من أجل المسيح. ولكنه يعود بعد ذلك بسرعة لملاحظة أنّ العداوة بين الطرفين لم تهدأ بل إنها اشتعلت من جديد بسبب حادثة لا تختلف عن الحادثة السابقة.(٦٤) وكانت الحادثة التي يشير إليه سوكراتيس هي مقتل الفيلسوفة الوثنية هيباتيا (Hypatia)،

---

(٦٣) Socrates, *Historia Ecclesiastica*,7.14.7-24. قارن كذلك: John of Nikiu, *Chronicon*, 84.94. [trans. Charles]. الذي يجعل مقتل الراهب قبل حرق الكنيسة.

(٦٤) Socrates, *Historia Ecclesiastica*, 7.14.7-24: Ἀλλ' οὐχ ἕως τούτου ἔστη τὸ δεινὸν τῆς μεταξὺ Κυρίλλου καὶ Ὀρέστου φιλονεικίας· ἀπέσβεσε γὰρ ταύτην ἕτερόν τι ἐπισυμβὰν τοῖς φθάσασι παραπλήσιον.

التي كانت شخصية مهمة في المدينة في تلك الآونة، وحولتها الكيفية التي تم بها اغتيالها بعد ذلك إلى أسطورة.[٦٥] ومرة أخرى فإنّ كتاب التاريخ الكنسي لسوكراتيس هو المصدر الرئيسي، ولكن هناك إشارة للحادثة في كتاب التاريخ ليوحنا النِّقيوسِيّ الذي يبدأ حديثه عن أحداث الفتنة بالإشارة إلى الفيلسوفة، وينهيها بالإشارة إلى مقتلها.[٦٦]

ويُعَرِّفنا سوكراتيس بالفيلسوفة ببعض التفصيل موضحًا أنَّها كانت ابنة فيلسوف يُدعى ثيون (Theon)، وأنَّها كانت على درجة عالية من المعرفة بالآداب والعلوم فاقت بها كافة الفلاسفة في عصرها. وكانت كذلك عميدة المدرسة الأفلاطونية ومدرسة فوتينوس (Photinus)، وكانت تشرح مبادئ الفلسفة لتلاميذها الذين أتى بعضهم من مسافات بعيدة لتلقى العلم على يديها. وكانت شخصيتها على درجة كبيرة من الرقي والثقافة، وكانت تحضر كثيرًا المناسبات العامة في حضور الوالي وكبار رجالات المدينة، دون أن يفقدها ذلك مكانتها واحترامها. وعلى الرغم من ذلك فإنَّها ذهبت ضحية التنافس السياسي الذي كان سائدًا في ذلك الوقت– فلأنها كانت تلتقي بأوريستيس كثيرًا فإنَّه انتشر بين المسيحيين أنَّ تأثيرها عليه هو الذي منعه من التصالح مع كيرلس.[٦٧] لقد

---

[٦٥] انظر بشكل عام: Edward J. Watts, *Hypatia: the Life and Legend of an Ancient Philosopher* (Oxford, 2017).

[٦٦] John of Nikiu, *Chronicon*, 84.87-88, 100-103. [trans. Charles].

[٦٧] Socrates, *Historia Ecclesiastica*,7.15.12-15: Κατὰ δὴ ταύτης τότε ὁ φθόνος ὡπλίσατο· ἐπεὶ γὰρ συνετύγχανε συχνότερον τῷ Ὀρέστῃ, διαβολὴν τοῦτ' ἐκίνησε κατ' αὐτῆς παρὰ τῷ τῆς ἐκκλησίας λαῷ, ὡς ἄρα εἴη αὕτη ἡ μὴ συγχωροῦσα τὸν Ὀρέστην εἰς φιλίαν τῷ ἐπισκόπῳ συμβῆναι.

كان السبب المباشر وراء اغتيالها، كما يلاحظ ديكين، يتمثل في القلائل التي أعقبت الصراع بين المسيحيين واليهود والعداوة بين الوالي والبطريرك.[٦٨]

وهكذا فقد دبرت مجموعة تابعة للبطريرك، مدفوعة بحماس وتعصب شديدين، بقيادة شخص يُدعى بطرس مؤامرة للقضاء عليها. وتربصوا بها وهي عائدة إلى منزلها في عربتها، وأنزلوها منها، وأخذوها إلى كنيسة قيصاريون (Kaisareion)، حيث خلعوا عنها كافة ملابسها ورجموها بعد ذلك بالحجارة. وبعد أن مزقوا جسدها إربًا، أخذوا أشلاءها إلى مكان يُعرف باسم كينارون/المحرقة (Kinaron)، وأحرقوها. ولم يتوان سوكراتيس عن إعلان رأيه فيما حدث بعبارة قوية يختتم بها حديثه عن الموضوع ويقول فيها: "وقد تسبب ذلك الحدث بالكثير من اللوم ليس فقط لكيرلس، بل أيضًا لكنيسة الإسكندرية؛ وبالتأكيد فلا شيء أبعد عن روح المسيحية من السماح بالمجازر والصراعات وتجاوزات من هذا القبيل."[٦٩] وبالإضافة إلى ذلك فإنَّه يؤرخ الحدث بدقة شديدة قائلًا إنَّه حدث في شهر مارس في أثناء الصيام، في العام الرابع من أسقفية كيرلس، وفي القنصلية العاشرة لهونوريوس (Honorius)، والسادسة لثيودوسيوس.[٧٠]

---

(٦٨) Michael A. B. Deakin, *Hypatia of Alexandria: Mathematician and a Martyr* (New York, 2007), 22.

(٦٩) Socrates, *Historia Ecclesiastica*,7.15.21-24: Τοῦτο οὐ μικρὸν μῶμον Κυρίλλῳ καὶ τῇ Ἀλεξανδρέων ἐκκλησίᾳ εἰργάσατο· ἀλλότριον γὰρ παντελῶς τῶν φρονούντων τὰ Χριστοῦ φόνοι καὶ μάχαι καὶ τὰ τούτοις παραπλήσια.

(٧٠) قارن كذلك: Philostorgius, *Historia Ecclesiastica*,8.9

وبالمقارنة برد فعل سوكراتيس تجاه مقتل الفيلسوفة، فإنّ يوحنا النِّقيوسِيّ يرى أن ذلك الأمر كان مبررًا. فهيباتيا في تقديره كانت تجسد الشر كلَّه: لقد كانت مكرسة نفسها في كافة الأوقات للسحر والنجوم والآلات الموسيقية، وسحرت الكثير من الناس بحيلها الشيطانية. وكان الوالي في الإسكندرية يحترمها احترامًا شديدًا لأنها ألقت عليه بسحرها حتى أنه توقف عن الذهاب للكنيسة كما كانت عادته، إلا في حالات الخطر. ولم يكتف الوالي بذلك بل إنَّه جذب عددًا كبيرًا من الكفرة إلى مجلسها وكان يستقبل الكفرة في منزله. ويلاحظ المؤرخ رد فعل المسيحيين بعد مقتلها وأنَّه كان إيجابيًّا؛ نظرًا لأنهم التفوا بعد مقتلها حول كيرلس، وأطلقوا عليه لقب 'ثيوفيلوس الجديد' نظرًا لأنَّه قضى على آخر معاقل الوثنية في المدينة.[٧١]

بغض النظر عن الاختلافات بين المؤرخيْن الكنسييْن في معالجتهما لمقتل الفيلسوفة، فإن هناك بعض الأشياء المشتركة بينهما. وأول ما نلاحظه هنا أنّه لا يمكن فصل الحادثة عن سياق الصراع بين المسيحيين واليهود تمامًا مثلما أنَّه لا يمكن فصل هذا الصراع عن التنافس السياسي بين الوالي وبين كيرلس، وهو الأمر الذي لاحظه جيدًا وكرره بشكل خاصّ سوكراتيس. من ناحية أخرى فإنَّ محاولة المؤرخيْن نسبة مقتلها إلى شخص يدعى بطرس وليس إلى كيرلس مباشرة تفتقر إلى المعقولية،[٧٢] أو حتى نفي التهمة تمامًا عن كيرلس على أساس

---

[٧١] John of Nikiu, *Chronicon*, 84.87-88, 103. [trans. Charles].

[٧٢] قارن الموقف الحذر نوعًا ما في تفسير ما قام به بطرس ومجموعته لدى: Watts, *Hypatia: the Life and Legend of an Ancient Philosopher*, 3, see also 115: "It is hard to imagine, however, that they went out intending to kill." انظر كذلك ما يذكره من أنَّه

صمت المصادر كما تحاول أن تفعل أرتيمي.[٧٣] وهنا فإنّ كلاوس يبدو محقًّا عندما يذكر أنّ كيرلس هو الذي أرسل هذه المجموعة إلى هيباتيا.[٧٤]

ومما يدل على ذلك ما أوضحه سوكراتيس ذاته من قبل أنّ حضور هيراكس اجتماع الوالي في المسرح كان بتوجيه من البطريرك. ربما أنَّ البطريرك لم يكن يتوقع أنّ يتم اغتيال هيباتيا، ناهيك عن أن يكون ذلك بالكيفية التي حدثت، ومع ذلك فإنّ دوره في مقتلها يتضح من تعظيم أتباعه له شخصيًّا– وليس لبطرس ولمجموعته الذين قتلوا الفيلسوفة– وإعطائه لقب 'ثيوفيلوس الجديد' لدوره في القضاء عليها بوصفها رمزًا للوثنية. وفي كافة الحالات فإنّ هيباتيا ذهبت ضحية الصراع السياسي والديني في المدينة في تلك الآونة ما بين اليهود والمسيحيين في جانب، وبين كيرلس والسلطة المدنية في جانب آخر، تمامًا مثلما أنَّه لا يمكن مناقشة مذبحة اليهود دون التطرق للعلاقة بين كيرلس وأوريستيس.

وقد كانت لهذا الصراع نتائجه بعيدة المدى على كافة المستويات، ولم يكن أقلها ما حدث للمجتمع اليهودي في المدينة من شتات. وعلى الرغم من محاولة هاس تأكيد أنه لم يتم القضاء نهائيًّا على اليهود في المدينة، فإنّه هو ذاته يلاحظ أنّ الحادثة تركت بصماتها على مشهد العلاقات اليهودية–المسيحية كما لم يحدث

يمكن التماس الأعذار لكيرلس وراء ما حدث من عنف في الأعوام الأولى من بطريركيته: Watts, *Riot in Alexandria*, 208-210

[٧٣] Artemi, Cyril of Alexandria (412-444), 40.

[٧٤] مانفريد كلاوس، الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ٣٢٧، حيث يصفها بأنَّها كانت تشكيلًا عصابيًّا يقوم بأعمال البلطجة التي ترى الكنيسة أنها في صالحها.

من قبل في تاريخها.[٧٥] وعلى الأقل اضطر عددٌ كبير من اليهود أن يعتنقوا المسيحية من أجل أن يواصلوا العيش في المدينة، وإن كانت المصادر تشير إلى بعض الشخصيات المهمة فقط، كما يتضح من الإشارة السابقة إلى الطبيب أدامانتيوس. ومما يؤكد أنَّه لم يتم القضاء تمامًا على اليهود في المدينة في تلك الحادثة ما يذكره يوحنا النِّقيوسِيّ من أنَّه تم تطهير صوامع اليهود وتحويلها إلى كنائس، وأنه أطلق على إحداها اسم القديس جيورجيوس، وأنَّه تم نفي الذين ارتكبوا جرائم القتل.[٧٦] وعلى الأقل فقد احتاج الأمر–كما يلاحظ هاس ذاته– ما يقرب من أربعة عقود حتى يوجد في المدينة مجتمع يهودي يستطيع أن يتقدم بطلب إلى السلطات في منتصف القرن لكي تسمح له بإقامة صومعة للعبادة، وهو طلب قوبل بالرفض.[٧٧]

ومن ناحية أخرى فإنّه كانت لهذه الحوادث نتائجها المهمة بالنسبة للعلاقة بين الوالي وبين البطريرك. لقد ذكر سوكراتيس أنَّهما كانا يراسلان الإمبراطور ويبلغانه بما يحدث في المدينة– كل بوجهة نظره تجاه الأحداث. ويبدو هنا أنّ النتيجة كانت لصالح كيرلس في النهاية. ويتضح ذلك من خلال بعض المراسيم التي أصدرها الإمبراطور يُحِدُّ فيها من نفوذ البطريرك والتي أصدر هو ذاتها عكسها بعد فترة وجيزة. أول هذه المراسيم يرجع إلى سبتمبر عام ٤١٦،[٧٨]

---

(٧٥) Haas, *Alexandria in Late Antiquity*, 122, 127. وقارن: Bell, Anti-Semitism in Alexandria, 17: "Thus ended the Jewish Community of Alexandria."

(٧٦) John of Nikiu, *Chronicon*, 84.99-100. [trans. Charles].

(٧٧) Haas, *Alexandria in Late Antiquity*, 127 with note 89.

(٧٨) Codex Theodosianus 16.2.42: "nihil commune clerici cum publicis actibus

ويبدأ صراحة بالإشارة إلى أنّ الإدارة الإمبراطورية ترغب صراحة في ألا يتدخل رجال الدين في الشؤون العامة أو شؤون القضاء. كذلك فإنَّه يشتمل بعد ذلك على ثلاث نقاط تنص أولاها على ألا يزيد عدد خدم الكنيسة (Parabalani) عن خمسمائة شخص (quingentos)، وألا يتم اختيارهم من الأغنياء (non divites)، بل الفقراء، ويجب أن يتم إبلاغ أسمائهم إلى والي المدينة. ومن ناحية أخرى فإنَّه لا يسمح لهم بأن يشهدوا المناسبات العامة، ولا ساحات المحكمة، ولا المحاكمات، ما لم يكن الأمر يخص واحدًا منهم. وإذا ما خالف أحدٌ منهم هذه القواعد فإنَّه يتم إعفاؤه وإخضاعه للعقوبة ولن يسمح له بالعودة للخدمة مرة أخرى. وفي حالة وفاة أحد الأشخاص فإن للوالي المبجل الصلاحية في أن يُحِلّ محله شخصًا ملائمًا وفقًا للقواعد السابقة.

وكما يتضح من بنود هذا المرسوم فإنَّ الإمبراطور حاول وقتئذٍ أن يقلل مما يمكن أن يمثله هؤلاء الخدم من تهديد وخطورة على الحياة العامة، فيما يبدو وكأنَّه محاولة للحد- في الوقت ذاته- من نفوذ البطريرك الذي استدعاهم في الأساس إلى الإسكندرية. ولكن الإمبراطور ذاته أصدر بعد ذلك بأقل من عامين، في فبراير عام ٤١٨، مرسومًا آخر جديدًا يسمح فيه برفع عدد هؤلاء الخدم إلى ستمائة شخص (sescentos)،[٧٩] ويجعلهم- فيما يبدو وكأنه تقليص لصلاحيات الوالي في الموضوع- تحت تصرف بطريرك الإسكندرية شخصيًّا (eius cura

---

vel ad curiam pertinentibus habeant…." (= Codex Jusinianus 1.3.17) انظر أيضًا: مانفريد كلاوس، الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ٣٣٠ .

[٧٩] Codex Theodosianus 16.2.43 (= Codex Jusinianus 1.3.18). وراجع: Deakin, *Hypatia of Alexandria*, 74.

(consistant. في ذلك الوقت كانت ولاية أوريستيس قد انتهت، وعاد إلى روما.

ومع ذلك، فإنّ الشيء المهم فيما يتعلق بالعنف السائد في المدينة هو أن مقتل هيباتيا، الذي كان بمثابة صدمةً للجميع ليس في الإسكندرية فقط بل وفي كافة العواصم الكبرى في الإمبراطورية، أعقبه هدوء كافة الأطراف في المدينة، كما يلاحظ واتس.[٨٠] فمن ناحية لم يكن هناك من الدائرة المحيطة بهيباتيا من الصفوة في المدينة من يستطيع أن يثأر لها، ومن ناحية أخرى لم يملك الوالي أوريستيس سوى أن ينتظر توجيهات الإمبراطور بشأن الموضوع، ومن ناحية ثالثة فإنّ مقتلها غطَّى على ما حدث من قبل في حق اليهود. وبالنسبة لهيباتيا ذاتها فإنَّها تحولت في القرون التالية إلى رمز متعدد الدلالات: لقد تحولت إلى رمزٍ للعصر القديم الذي كان يتغير عندئذٍ، ورمزٍ "لفساد الكنيسة السكندرية، ونهاية التفكير المنطقي اليوناني، وانتشار الأصولية الدينية...؛ بحيث إنّ هيباتيا 'الرمز' غطت تقريبًا بالكامل على ما نعرفه عن هيباتيا 'الشخصية'."[٨١]

خاتمة:

تميزت الإسكندرية منذ تأسيسها بأنَّها مدينة عالمية بالنظر إلى الأعراق والثقافات التي عاشت فيها منذ تأسيسها على يد الإسكندر، حيث أقام فيها منذ

---

[٨٠] Watts, *Hypatia: the Life and Legend of an Ancient Philosopher*, 121.

[٨١] Watts, *Hypatia: the Life and Legend of an Ancient Philosopher*, 4-5. وكذلك: مانفريد كلاوس، الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ٣٢٨ .

البداية اليونانيون والمصريون واليهود. ومع مرور الوقت ومجيء الرومان ازدادت الحياة في المدينة تشابكًا وتعقيدًا، وبخاصة بعد انتشار المسيحية واعتناقها بواسطة أعداد كبيرة من الناس. وكما يلاحظ بومان فقد كانت المدينة دائمًا "مكانًا يسهل فيه تعبئة حركات عنفٍ شاملة ومؤثرة؛ أيًّا كان سبب العنف، وسواءً أكان حقيقيًّا أم مُختلقًا. وكان يمكن استثارة المسيحيين المصريين للقيام بأعمال عنف ضد 'اليونانيين' الوثنيين، بنفس سهولة استثارة 'اليونانيين' السكندريين ضد اليهود."[٨٢]

وكما يتضح من مناقشة فتنة ٤١٥م ودراسة أسبابها وأحداثها ونتائجها، فإنّ أعمال العنف في الإسكندرية- بمجرد حدوثها- كانت تأخذ أبعادًا تفوق بكثير الأسباب المباشرة التي أفضت إليها، وهو ما يعد مؤشرًا قويًّا على الجو المشحون بالتوتر والعداوات بين كافة الفئات والجماعات المقيمة في المدينة عندئذٍ، بغض النظر عن انتماءاتها العرقية ومعتقداتها الدينية. لقد أفضى الصدام بين اليهود والبطريرك المونوفيزيقي كيرلس إلى مواجهة بينه وبين الوالي أوريستيس ومؤيديه من الأرستقراطيين وأتباع العقيدة الأخرى، وانتهى بمقتل الفيلسوفة الوثنية ذات الثقافة اليونانية والتي تم بها الزج في الصراع بين الوالي والبطريرك- وفي كل الحالات لا يمكن فصل هذه الأحداث عما كان يحدث في العقود والأعوام السابقة لها.

ومن ناحية أخرى فإنَّه يمكننا ملاحظة أنّ الصراع الذي كان قائمًا على

---

[٨٢] بومان، مصر ما بعد الفراعنة، ٣٧٣ .

مستويين بين البطريرك وبين اليهود من ناحية، وبينه وبين الوالي–بوصفه ممثلًا للسلطة المدنية– وبقية فئات مجتمع المدينة من وثنيين وأتباع المذاهب المسيحية الأخرى، كان محسومًا سلفًا لصالحه. ويرجع ذلك إلى شخصية البطريرك المتعطشة للسلطة والقاعدة العريضة التي يعتمد عليها من الأتباع وبشكل خاص من 'خدم الكنيسة،' الذين كانوا لا يمكن التنبؤ بتصرفاتهم. لقد كانت النتيجة لصالحه على كافة المستويات، كما يتضح من المراسيم الإمبراطورية التالية للأحداث، بحيث إنّ تاريخ المدينة في بقية القرن أصبح هو تاريخ البطريركية والكنيسة المونوفيزيقية التي ترأسها كيرلس حتى قرب منتصف القرن، عام ٤٤٤م، وترك اسمه بعد ذلك علامة بارزة فيها.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية والمعربة

- آلان ك. بومان، مصر ما بعد الفراعنة: من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ترجمة السيد جاد والسيد رشدي ورضا رسلان، الإسكندرية، ٢٠١٣.
- مانفريد كلاوس، الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة أشرف نادي أحمد، القاهرة، ٢٠٠٩.
- مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، القاهرة، ١٩٩٩.
- مصطفى كمال عبدالعليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، القاهرة، ١٩٦٨.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

- Anatolios, Khaled, Athansius: The Early Church Fathers (London and New York, 2004).
- Artemi, Eirini, "Cyril of Alexandria (412-444) and his Patriarchic Period according to Socrates Scholasticus," Journal of Medieval and Islamic History 12 (2018-2019), 29-46.
- Bell, H. I., "Anti-Semitism in Alexandria," Journal of Roman Studies 31 (1941), 1-19.

- Cairns, Earle, E., Christianity through the Centuries: A History of Christian Church (Zondervan Publishing, 1996).
- Capponi, livia, "Deserving the Court's Trust: Jews in Ptolemaic Egypt," in: The Hellenistic Court: Monarchic Power and Elite Society from Alexander to Cleopatra, ed. Andrew Erskine, Lloyd Llewllyn-Jones and Shane Wallace (London, 2017), 343-358.
- Deakin, Michael A. B., Hypatia of Alexandria: Mathematician and a Martyr (New York, 2007).
- Dohrmann Natalie B. and Annette Yoshike Reed, Jews, Christians, and the Roman Empire (Philadelphia, 2013).
- Errington, R. Malcolm, Roman Imperial Policy: From Julian to Theodosius (Chapil Hill, 2006).
- Griggs, C. Wilfred, Early Egyptian Christianity: from its Origins to AD 451 CE, (Leiden, 1990).
- Harker, Andrew, Loyalty and Dissidence in Roman Egypt: The Case of the Acta Alexandrinorum (Cambridge, 2008).
- Haas, Christopher, Alexandria in Late Antiquity: Topography and Social Conflict (Baltimore, 1997).
- ----------, "The Alexandrian Riot of 356 and George of Cappadocia," Greek, Roman and Byzantine Studies 32 (1991), 281-301.
- Hekster, Olivier and Nicholas Zair, Rome and its Empire: AD 193-284, (Edinburgh, 2008.
- Irshai, Oded, "Christian Historiographers' Reflections on Jewish-Christian Violence in Fifth-Century Alexandria," in Jews, Christians, and the Roman Empire, eds. Natalie B. Dohrmann and Annette Yoshike Reed (Philadelphia, 2013), 137-153.
- Jones, A. H. M., Constantine and the Conversion of Europe (London, 1948).
- de Lange, N.R.M., Origen and the Jews: Studies in Jewish-Christian Relations in Third Century Palestine (London, 1976).

- Lewis, Naphtali, Life in Egypt under Roman Rule (Oxford, 1983).
- Mackay, Christopher S., Ancient Rome: A military and Political History (Cambridge University Press, 2007).
- McGuckin, John Anthony (ed.), The Westminster Handbook to Origen (Louisvillle-London, 2004).
- Mckechnie, Paul and Philippe Guillaume (eds.), Ptolemy II and his World (Leiden, 2008).
- Osborn, Eric, Clement of Alexandria (Cambridge, 2005).
- Tcherikover, Victor A. and Alexander Fuks, Corpus Papyrorum Judaicarum, vol. 1 (Cambridge, 1957).
- Vasilliev, A., History of the Byzantine Empire (Madison, 1952).